ISSN 2278-764X قسم العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا

مجلة كاليكوت
KALIKOOT

المجلد الرابع عشر - العدد الأول: يناير - أبريل ٢٠٢٤

في العالم الحقيقي. ولهذا السبب عبر عن رغباته بالشعر السريالية البيئونة.

نقد الأستاذ أحمد أمين على الأدب العباسي: دراسة نقدية

د/ محمد يوسف مير، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، كشمير، الهند

المقدمة:

من المعلوم أنّ الأدب يكون صورة صادقة للبيئة التي ينشأ فيها، ويمثّل حياة النّاس تمثيلا صادقا. فكلّما نخوض في دراسة حضارات الأمم المختلفة في العالم ورقيها على تطاول العصور وكر الدهور، نجد أنّ لغاتها أيضا تترقى وتزدهر معها، وتساير زمنها المعاصر، وتمثّل محيطاتها تمثيلا صادقا. ولكن عندما نهتمّ بدراسة تاريخ اللغة العربية وآدابها نجد الأمر على العكس، لأننا نجد اختلافا كثيرا بين آراء النقاد من ناحية التقليد والتجديد في الأدب العباسي. بعضهم يرون أنّ الأدب العربي شهد ازدهارا كبيرا في العهد العباسي وازداد في تراثه ما لم يكن من الحسبان، وبعضهم يرون أن الأدب العربي وفنونه كانت تصوّر البيئة التي نشأت فيها إلى زمن، ولكن بعد ولوجه في العصر العباسي، حاد عن صراط الرقي والازدهار، واستمرّ الأدب العربي في العصر العباسي يقلّد القدماء في كل فن من الفنون، والمحافظون على الأدب القديم كانوا يحتجّون ضدّ من كان تحدثه نفسه عن التجديد أو التحديث في الأدب العربي. وهذا ما رأى أحمد أمين أيضا، ونقد نقدا جارحا على الأدب العباسي حيث ادّعى بأن الأدب الجاهلي قد جنى على الأدب العباسي بتقييد أفكار الأدباء والشعراء في سلاسله المشيدة بما فيها الوزن والقوافي والموضوعات وما إليها، ولم يتمكنوا من التفكير في التجديد في الأدب وفنونه المختلفة. نظرا إلى ذلك سيتمحور هذا البحث حول آراء أحمد أمين في الأدب العباسي مع التركيز الخاص على دراسيها النقدية. ولكن قبل الخوض في صلب الموضوع لا بد لنا من الإطلاع اليسير على شخصية الأستاذ أحمد أمين.

الأستاذ أحمد أمين: حياته وأدبه

انبلج صبح حياة أحمد أمين في أسرة فلاحة مصرية في غرة شهر أكتوبر سنة 1886م. بسبب المعاناة من الظلم والجور على أيدي الرؤساء

والسادات، اضطرت الأسرة إلى الهجرة إلى القاهرة، وهذا هو الموضع الذي ولد فيه أحمد أمين. يحسب أحمد أمين هذا الانتقال المكاني سعادة ورحمة له حيث يقول: "لولا ذلك لنشأت فلاحا مع الفلاحين أزرع وأقلع"[1]

ألحقه أبوه الأزهر في المدرسة الابتدائية التي كانت بيئتها قديما على نهج ديني خالص. درس فيها مبادئ التعليم وحفظ سورا من القرآن وتعلّم القراءة والكتابة. لقي أثناء دراسته في الأزهر الشيخ محمد عبده فتأثر به واستفاد منه إلى قدر المستطاع، عندما لم يشف غليله العلمي في الأزهر فطمحت أنظاره إلى المناطق الأخرى ومنها الإسكندرية، فقابل هنا الشيخ عبد الحكيم بن محمد الذي كان مؤيدا للشيخ محمد عبده في حركته الإصلاحية، وكان صوفيا متدينا بطريقة النقشبندية. تأثر أحمد أمين بالشخصية الكبيرة هذه التي تركت آثارا لا تمحى في قلبه ومخه، بعد أن حصل على الشهادة العالمية، عين أحمد أمين مدرسا، ثم انتقل إلى المحكمة الشرعية قاضيا في أسيوط. ودور أصدقاء أحمد أمين في تكوين شخصيته أيضا جدير بالتقدير والثناء. إن فضل تعلّم أحمد أمين اللغة الأنكليزية يرجع إلى أصدقائه بأن أحتكاك أحمد أمين بهم أثار فيه رغبة في تعلم اللغة الإنكليزية، ما إن وجد أن أصدقاءه مثل طه حسين، العبادي، فريد أبو حديد وغيرهم يتقنون لغات أجنبية حتى قرر أن يسدّ الفجوة التي شعر بها من خلال احتكاكه بهم. فشمر لتعلم إحدى اللغات الأجنبية، واللغة التي اختارها من بين اللغات الأجنبية هي الإنجليزية. يرى أحمد أمين أن هذه المرحلة كانت بالغة التأثير فيه من الناحية الأدبية والفكرية، فيقول: "ماذا كنت لو لم أجتز هذه المرحلة، لقد كنت ذا عين واحدة فأصبحت ذا عينين..."[2] التحق أحمد أمين بالجامعة المصرية مدرسا للغة العربية سنة 1926م، فتأثر في الجامعة بالأساتذة المصريين والغربيين لما رأى فيهم من النشاط وسعة الصدر. فتفرغ لدراسة اللغة والأدب والبلاغة بدلا من الفقه ولعم التربية والأخلاق الذي كان موضوعه من قبل واستفاد من أساتذته بمناهجهم في التدريس والبحث.[3] لبّى أحمد أمين نداء ربه سنة 1954م في مصر، ودفن فيها.[4]

الأدب العباسي في ضوء آراء الأستاذ أحمد أمين:

على الرغم من اعتراف أحمد أمين بصدق الشعر الجاهلي وتمثيله المجتمع الجاهلي تمثيلا صادقا إلا أنه يتملكه العجب والدهش إذ لاحظ أنّ الأدب العباسي ومنه الشعر العباسي بتنوع

[1] أحمد أمين، حياتي، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م)، ص15-16.

[2] المصدر السابق، ص105-110.

[3] المصدر السابق، ص147-151.

[4] الدكتور فؤاد صالح السيد، موسوعة أعلام القرن العشرين في العالمين العربي والإسلامي، ج1، (بيروت: مكتبة حسن العصرية)، ص49.

خاص يسير على أنماط الأدب الجاهلي من جهة، والحياة في المجتمع حياة فارسية في أكثر ألوانها، وتختلف الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كل الاختلاف عن الحياة الجاهلية والأموية من جهة أخرى.[1]

يعني إن الأدب العباسي لم يساير زمنه المعاصر مع أنه كان من الواجب للشعراء العباسيين أن يصوروا حياتهم الجديدة في أنماط جديدة وفق للتغيرات الثقافية والاجتماعية بصورة إجمالية. والعهد العباسي شهد حقا نوعا من التطور والتجديد في شتى مجالات الحياة بما فيها السياسة والثقافة والعُمران وغيرها، وكانت الدولة العباسية مصطبغة بصبغة فارسية. نظرا لهذا التجديد، يرى أحمد أمين أنه كان من مقتضيات الأدب أن تكون فيه صورة صادقة للمجتمع الذي نشأ فيه وتطور وأن يأتي الشعر العباسي بمقتضى الحياة الجديدة، ولكنه لم ير قدرا كبيرا من ذلك. وعلى الرغم من اهتمام علماء الأدب ببيان المميزات الجديدة للعصر العباسي إلا أنّ أحمد أمين لم يقتنع بها، ويراها مميزات سطحية غير في الصميم، ومنها التنميق وكثرة الاستعارات والتشبيهات والإكثار في البديع وورود الألفاظ الأعجمية والتعبيرات العلمية، والاهتمام الكبير بالخمر، والغزل في المذكر، وما إلى ذلك. فلم ير فيها شيئا من الجوهر.

يليق بالذكر أن أحمد أمين لم يكتف بنقده على الأدب العباسي بل قام بتوضيح مراده من الجوهر الذي كان يفتقده الأدب العباسي على حد تعبيره، ويرى أن جوهر التغير هو تعديل أوزان الشعر بما يتفق مع رقي أوزان الشعراء الموسيقية، ووصف أحوال العصر الاجتماعية والسياسية وصفا صادقا، وأن يهتم الشعراء بوصف ترفهم وبؤسهم في أدبهم وصفا صادقا، وأن يتغنوا بأماكنهم وطبيعة بلادهم، وأن يلتزموا بوصف مشاعرهم أنفسهم لا مشاعر غيرهم وغيرها. خلاصة القول إنه يطلب من الشعراء العباسيين أن يكون أدبهم سجلا صادقا لأفكارهم ومشاعرهم الحقة، كما كان الشعر الجاهلي ديوانا صادقا لأحوال الجاهليين وأفكارهم، وهذه هي التغيرات التي يريد أحمد أمين رؤيتها في الأدب العباسي وهذه هي العناصر التي يسميها بجوهر التغير.[2]

ويرى أحمد أمين أن هذا التخلف ومسيرة الأدب العباسي على أنماط الأدب الجاهلي قد تسببت في الصراع والمعركة الناشبة بين المتقدمين والمجددين والتي انتهت بنصرة الدعاة إلى القديم الذين كانوا يدعون إلى الالتزام التام بسلوك دروب القدماء من الشعراء والأدباء، نظرا لأهمية

[1] أحمد أمين، فيض الخاطر، جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي أو نقد الأدب العربي، ج٤، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012)، ص٢٢٢.

[2] المصدر السابق، ص٢٢٢.

هذا الموضوع، فنراه من الضروري أن نلقي ضوءا وجيزا عليه فيما يلي:

الصراع بين المتقدمين والمجددين:

وبكلام أحمد أمين إنّ أهم الأسباب في التخلف الأدبي هذا يرجع إلى جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي التي تسببت عن الصراع الذي دار بين معسكرين يوجدان في العصر العباسي لأول عهده. فمعسكر يدعو إلى المحافظة على القديم وعدم الحَيدَة عنه، ومعسكر آخر يدعو إلى التجديد في الأدب وكانوا مضادين للتقليد. أمّا زعماء المعسكر الأول ففي طليعتهم الأصمعي، وأبو عمرو بن العلاء، وابن الأعرابي وغيرهم من اللّغويين. فإنهم كانوا ينسبون كلّ الخير إلى أنفسهم، وكل الشر والنقائص إلى المحدثين، كما يتضح من خلال عبارته حيث يقول:"وكان أبو عمرو بن العلاء يرفض الاحتجاج حتى بشعر الأمويين، ولا يقر بفضل للمحدثين، ويقول عن المحدثين: 'ما كان عندهم من حسن فقد سبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم'".[1]

أمّا المعسكر الثاني فكان يدعو إلى استحسان الحسن بغض الطرف عن الفرق بين القديم والحديث، واستهجان القبيح دون توجيه الالتفات إلى القديم أو الحديث. وكان يترعم هذا المعسكر أبو نواس. فكان الصراع المستمر بين المعسكرين في اوجه حتى غلب المعسكر الأول(المحافظين) على المعسكر الثاني(المجددين). ولقيت دعوتهم رواجا كبيرا وفوزا كاسحا بين الشعراء. وانشل الأدب العربي بمقتضى آراء أحمد أمين انشلالا فظيعا في العصر العباسي.

إن نصرة المتقدمين تسببت عن أكثر اتصالهم بالخلفاء والأمراء إضافة إلى صباغ دعوتهم بصبغة دينية لأنهم جعلوا القرآن وسيلة لتوسيع دعوتهم بين الأدباء والشعراء بقولهم "إن الشعر الجاهلي هو أحد المصادر في تفسير القرآن، وعليه نعتمد في شرح المفردات وبيان الأساليب".[2] يليق بالذكر أن الأستاذ أحمد أمين يستشهد بشتى النماذج من الأدب العربي لتوضيح موقفه، ويرى أنه لا يجد أوضح تعبيرا عن ذلك من ابن قتيبة الذي كان يدعو إلى سلوك دروب القدماء على الرغم من زعمه أنه من المجددين. علاوة على ذلك، إنّ المتقدمين كانوا يهاجمون كلّ من حدثته نفسه بتجديد، كما نرى في أبي نواس الذي حاد عن المألوف وقام بدعوة إلى عدم البكاء على المدن والوقوف على الديار، ولكنه لاقى الكثير من الهجوم والانتقادات على أيدي الدعاة إلى القديم، ولم يجد مندوحة عن العدول عن رأيه، بل اضطر إلى الوقوف على الديار ووصف ناقته إلى أن يصل ممدوحه. وكذلك عندما حاول أبوتمام

[1] المصدر السابق، ص233

[2] المصدر السابق

محاولة الابتكار في بعض المعاني والتعمق فيها وانحرف قليلا عن المألوف، فاتهمه القدماء بالخروج على عمود الشعر، وفضلوا البحتري عليه على أساس أنه كان اعمق اتصالا بعمود الشعر. فيرى أحمد أمين أن الدعاة إلى القديم هم مسؤولون عن عدم التجديد في الأدب العباسي ومنه الشعر العباسي بنوع خاص.[1]

الشعر العباسي في منظور أحمد أمين:

يرى أحمد أمين أنه كان لهذا التخلف الشنيع والجمود الفكري آثارا فظيعة على الأدب العباسي في شتى النواحي بما فيها الشكل والموضوع والاستعارات والتشبيهات وما إليها. ويرى أن الشعراء العباسيين تقيدوا في أوزان الشعر الجاهلي وقوافيه، وأنشدوا كلامهم الشعري في البحور التي كانت رائجة في العصر الجاهلي، لأن العرب كانوا مجبولين على التعصّب، فكانوا متعصبين جد التعصّب لشعرهم، وكانوا يظنون التجديد فيه انتهاكا لحرمة الأدب، ولم يكونوا يستحسنون فيه الابتكار أو التحوير في الأساس: فيقدسون نظم البيت، وبحر الشعر، وقافية القصيدة ونحو ذلك، وكانت الأشياء هذه كلّها مقدّسة لديهم فينكرون الزيادة عليها أو النقصان فيها، وكذلك تحرير القافية من قيودها الثقيلة الماضية، وزيادة بحر على البحور التي كانت رائجة في أوساط الشعراء الجاهليين، والقول في موضوعات جديدة لم تتناول في الماضي، كل هذه الخطوات كانت في آرائهم انتهاكا لحرمة الأدب.[2]

انشلّت الحركة الأدبية في العهد العباسي ولو كان من الواجب أن تتغير البحور والموضوعات بتغير العصور والأزمان، لأنّ الغناء الجاهلي لا يلائم العصر العباسي فكذلك لا تناسب الأوزان والقوافي الجاهلية للعصر العباسي، لأنّ لها علاقة وطيدة بالأذن الموسيقية، والتي لها علاقة متينة بالذوق. ومما لا شك فيه أنّ الذوق تختلف، لا في العصور فقط، بل تختلف بين الأفراد أيضا. فنظرا إلى هذه الحقائق يجب - على حد تعبير أحمد أمين - أن تختلف الأوزان والبحور باختلاف العصور، ولكن أحمد أمين لا يراه مثل ذلك في الأدب العباسي بل، على العكس، يجده مصطبغا بصبغة الأدب الجاهلي.[3]

وكذلك يقول أحمد أمين إن الأدب الجاهلي جنى على الأدب العباسي من ناحية الموضوع، لأن الشعراء العباسيين لم يبتكروا في موضوعاتهم إلا قليلا، بل اختاروا نفس الموضوعات التي سبق أن عولجت في العصر الجاهلي، بعبارة أخرى لم يكن الشعراء يعبرون عن عواطفهم الصادقة ولا عن حالهم الاجتماعية تعبيرا

[1] المصدر السابق، ص224.

[2] أحمد أمين، فجر الإسلام، (الكيلو: مكتبة إحسان، 2014)، ص135.

[3] أحمد أمين، ضحى الإسلام، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011)، ص225.

دقيقا أو ما كانت تحيط بهم من الأحوال السياسية والاجتماعية والدينية. ونذكر فيما يلي بعض الاقتباسات من مقال أحمد أمين التي يستشهد بها صواب نقده على الأدب العباسي ويأتي بها في تأييد آرائه في تخلف الأدب العباسي.

فيقول في الشعر العربي في العهد العباسي:

"إنك تقرأ الشعر العربي، فلا تعرف إن كان هذا الشعر مصري أو عراقي أو شامي إلاّ من ترجمة حياة الشاعر، أمّا القالب كله فشيء واحد، والموضوع كله واحد، مديح أو رثاء أو هجاء أو نحو ذلك مما قاله الجاهليون".[1]

ويقول ناقدا على الشعراء العباسيين:

"أ ليس من السخرية ومما يستوجب الحسرة والأسى أن يترك الشعراء هذه المواقف كلها أو أمثالها مما يقع سمعهم وبصرهم، فلا يحركهم إلا "قفا نبك" و"مال الخبيط" فإن جددوا في شيء فأن يكون الممدوح سيف الدولة بدل الغساسنة، وأن يكون المادح المتنبي بدل الأعشى؟".[2]

ويقول مزيدا في نقده على الأدب العباسي:

"أليس مضحكا أن يترك الشعراء العراقيون والمصريون والشاميون بلادهم وأنهارهم ويتغزلوا في نجد وغير نجد".[3]

ويدعم آراءه النقدية هذه بذكر بعض الأمثلة من كلام الشعراء العباسيين. ويستدل بها موقفه تجاه الأدب العباسي. فعلى سبيل المثال، يذكر الشاعر العباسي ابن الدُمَينَة وهو يقول:

"ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد"[4]

وكذلك ينقل عن ابن الخياط:

"أهيم إلى ماء بِبُرقَة عاقل".[5]

ويقول ناقدا على الشاعر العباسي "البهاء زهير":

"أليس عجيبا أن نرى شعر "البهاء زهير" وقد كان في أسمى منصب من مناصب الدولة، وكان مشرفا على الحروب الصليبية ومساهما في تدبير شؤونها - لا يذكر لنا في شعره بيتا من أماني الفُروسيّة؟"[6]

من الجدير بالذكر أن أحمد أمين لم يقتصر على استدلال موقفه المذكور بذكر الأمثلة من الأدب العباسي، بل تجاوز إلى العصر الحديث فيما ينقد على شاعر النيل "حافظ إبراهيم" لتقليده القدماء، ويقول: "فما بال "حافظ إبراهيم" في مصر، ولا دار ولا أطلال ولا صحب، يقول في مدح الشيخ محمد عبده:

بكرا صاحبيّ يوم الإياب

وقفا بي في عين الشمس قفا بي"[7]

---

[1] المصدر السابق، ص225

[2] المصدر السابق

[3] المصدر السابق، ص227

[4] أحمد أمين، فيض الخاطر "أدب القوة وأدب الضعف"، ج1، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة)، ص29.

[5] المصدر السابق، ص229

[6] المصدر السابق

[7] المصدر السابق

فخلاصة القول إن أحمد أمين يقصد بنقده على الأدب العباسي أنه لا يمثل مجتمعه المعني على الوجه المنشود، ولم يترعرع في بيئته الطبيعية بل نشأ في القصور التي كان الشعراء يقفون على عتبة أبوابها بغية الحصول على المنافع الخسيسة، والتي بدورها جردت الشعر من جوهره وروحه، وهذا السبب أن أحمد أمين يسمّي الأدب العباسي أدب المعدة، لا أدب الروح.[1] ويزعم أن أدب المعدة قد طغى على أدب الروح في العصر العباسي.[2]

النثر العباسي في ضوء آراء أحمد أمين:

هذا، ولم يقصر أحمد أمين نقده على الشعر العباسي فقط بل تناول النثر العباسي أيضا بالدراسة النقدية، واستهل بحثه بأن المجتمع في العهد العباسي يمكن تقسيمه إلى طائفتين: طائفة تنعم بالثروة والغنى، وطائفة تتجرع مرارة البؤس والفقر. نظرا إلى ذلك، يرى أحمد أمين أن العصر العباسي شهد عددا كثيرا من المستجدين ومنهم الأدباء الذين كانت لهم طريقة خاصة في الاستجداء، ويندرج في هذه الزمرة - على حد تعبيره - مقامات البديع ومقامات الحريري فسمّاها بأدب المعدة.

ويقسم النثر العباسي إلى قسمين: السلطانيات[3] والإخوانيات[4]. أما النوع الأول فقد نبغ فيه رائدان كبيران: أحدهما أبو هلال الصابئ، والثاني أبو بكر الخوارزمي، على الرغم من دورهما البارز في تطوير الأدب العباسي عن طريق كتابة رسائلهما، كان أحمد أمين شخصيا يستمسح كتابهما ومن انتهج منهجهما، ويعلّق على رسائلهما قائلا: "وأرى جعجعة ولا طحن، وألفاظ جوفاء ولا معنى".[5] ولم يكتف باستمساح كتابهم بل تجاوز إلى إدلاء بتعليقات نقديّة على رسائلهما إضافة إلى انتقاده الصاحب بن عباد والقاضي فاضل والعماد الاصفهاني الذين حذوا حذو الصابئ والخوارزمي وذهبوا بمهمهما هذه إلى القمة، ويرى في الصابئ والخوارزمي أنهما أثقل من البديع، وهو بنفسه أخف منهما روحا. وهكذا يكشف القناع عن تجربته أنه كلما يقرأ رسائلهما كلما فيشعر عندئذ بانقباض صدره، وعدم انطلاق لسانه، وعلى الرغم من قضائه ساعة أو ساعتين في قراءة رسائلهما إلا أنه يخرج منها صفر اليدين، وكذلك ينتقد الصاحب بن عباد والقاضي الفاضل والعماد الإصفهاني لتقيدهم في قيود

[1] يقسم أحمد أمين أدب إلى قسمين وهما أدب الروح وأدب المعدة أما أدب المعدة فيعني به أدبا ينبعث عن النفس، كما ينبعث صوت البلبل عن الحنجرة، ويدلّ على صاحبه كدلالة ضحك الطفل البريء، بكائه على ما في نفسه من سرور أو حزن، فلا غش ولا رياء. أما أدب المعدة فيعرفه أحمد أمين بأنه يدور حول سد الرمق، وملء المعدة، واستدرار المال، وتحصيل النقود.

[2] أحمد أمين، فيض الخاطر، "أدب الروح وأدب المعدة"، ج٤، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة)، ص83.

[3] هي المكاتبات الرسمية التي تصدر من عامل إلى عامل، أو من وزير إلى عامل، أو من خليفة إلى عمال ونحوهم.

[4] وهو ما يصدر من صديق إلى صديق، أو من أستاذ إلى تلميذ، أو من تلميذ في المسائل العامة.

[5] أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج١، (الكويت: مكتبة إحسان، 2018م)، ص311-322.

كارثة السجع و أنواع البديع وأثرت هذه الكارثة - على حد تعبيرأحمد أمين - في كل كتاب القرون التي أتت فيما بعد إلى النهضة الحديثة. والإتجاه الغالب على نثر العهد العباسي هو اتجاه كلي إلى السجع والبديع، وفراغ كلي من معنى بديع.[1]

يبدي الأستاذ أحمد أمين تأسفه الشديد على طابع السجع والبديع الذي استولى على الأدب العربي في هذا العهد، وظل طابعه غالبا في العصور المتلاحقة على كل فرع من فروع الأدب إلى أن تبلّج صبح النهضة الحديثة. ولكنه، في نفس الوقت، يكشف عن ظهور الكتاب الآخرين الذين لم يحذوا حذو معاصريهم بل ساروا على غير هذه الطريقة، وفي طليعتهم أحمد بن يوسف المعروف بابن الداية الذي قام بتأليف كتاب "المكافأة" على نمط خير من النمط العادي المعروف في ذاك العهد، وصب اهتمامه في مؤلفاته على جزالة التعبير، وقوة التفكير أكثر من الاهتمام بالسجع.[2]

علاوة على ذلك، تغيّرت الظروف على الأدب العربي عند حلول العهد العباسي عن طريق ورود الثقافة الفارسية في الأدب العربي، والتي تمخضت عن بداية الصراع بين القيم التقليدية لثقافة الصحراء العربية التي أنتجت القصائد الجاهلية وبين أسلوب الحياة الحضري المتطور في بغداد الذي كان متميزا بالتقليد الفارسي. ولكن غلبت نزعات المحافظة (القيم التقليدية) على نزعات الحضارة الجديدة بفضل اللغويين، فلم يرق الأدب العربي ومنه الشعر خاصة في العصر العباسي إلاّ قليلا، واستمرّ الشعراء في اتباع القدماء في الشكل والموضوع، ولم يحيدوا عن طريق أسلافهم قيد أنملة. يليق بالذكر هنا أن اللغويين اضطلعوا بدور هام في تدعيم استمرار نزعات المحافظين على القديم في الأدب العربي.

آراء أحمد أمين في الأدب العباسي- دراسة نقدية:

في ضوء ما تقدم من آراء أحمد أمين بخصوص الأدب العباسي نثرا وشعرا، توصلنا إلى أنه كان متأثرا للغاية بآراء المستشرقين؛ لأنه يرى في الأدب العباسي ما رأى المستشرقون فيه. من عجب العجاب أن أحمد أمين يقتصر بحثه في الأدب العباسي على ذكر التخلّف الذي تعرض له الأدب العباسي بغض الطرف عن ذكر التجديد الذي شهده الأدب في العهد المذكور. ومما لا شك فيه أن الشعراء العباسيين حذوا في بعض الأمور حذو الجاهليين، وكان تأثير الأدب الجاهلي عليه كبيرا، ولكن هذا لا يعني أن الأدب العباسي لم يشهد التجديد ألبتة، وتجرد الشعر في هذا العهد من التأثر بالحضارة الجديدة والرقي العقلي، والحياة الجديدة الاجتماعية بل، على العكس، دخل فيه وصف القصور

[1] المصر السابق، ص323
[2] المصر السابق، ص325

والبساتين ومجالس الأنس، ومصايد الطير والسمك، والإكثار من الهتك، والتوسع في وصف الخمر والأفكار العلميّة، والزهد وإصلاح النفس وغيرها من الموضوعات الطريفة.[1]

وكذلك نجد الكثير من النماذج الأدبية التي تنمّ عن رقي الأدب العباسي وازدهاره، ويليق بالذكر أنّ الشاعر العباسي انتقل في كثير من الأحيان من وصف الصحراء ودروبها وحيوانها إلى وصف الرياض في الحاضرة ومناظرها الخلابة في الربيع.[2] ومن خير نماذجها ما قال البحتري في عيد النيروز في الربيع:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى
أوائل ورد كن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه
يبث حديثا كان قبل مكتما[3]

فابن الرومي حين يقول عن الأرض في الربيع:

فالأرض في روض كأفواف الحبر
نيرة النوار ، زهراء الزهرا
تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الأنثى تصدت للذكر[4]

وهكذا هناك كثير من الأمثلة التي تنمّ عن التجديد في الأدب العباسي في شتى النواحي بما فيها الموضوعات والأوزان والقوافي. كما لا يمكن إنكار الحقيقة أنّ العصر العباسي يُعدّ عصرا ذهبيا للأدب العربي على أساس أن الكثير من العلوم اللغوية والفنون الأدبية الجديدة ظهرت إلى حيز الوجود في هذا العهد، ومنها النحو والعروض والمقامات والبلاغة وشعر الطبيعة والزهديات والخمريات وغيرها.علاوة على ذلك، نجد النماذج الأدبيّة التي كانت تلائم عصرها المعني وبيئاتها المتعلقة. فيقول شوقي ضيف في هذا الصدد أن الشعراء العباسيين قد أتوا بموضوعات جديدة، ويقول فيهم:

وأضافوا (الشعراء العباسيون) إليها موضوعات جديدة بما نفذوا إليه من تحليل المعاني والملاءمة بين أشعارهم وبيئاتهم المتحضرة وحياتهم اليوميّة، وفتحوا صفحة لم تكن تخطر لأسلافهم على بال، هي صفحة الشعر التعليمي الذي صاغوا من المعارف والتاريخ والأمثال والقصص الحيواني منظومات طريفة. واكتشفوا للشعر أوزانا لم تكن معروفة وأنماطا من القوافي كانت مجهولة.[5]

---

[1] الحسني، محمد الرابع، الأدب العربي بين عرض ونقد، (الكويت: مؤسسة الصباح والنشر)، ص152.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العباسي الثاني، ط2، (مصر: دار المعارف 1973م)، ج4، ص207-209.

[3] الشيب، سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، ط3، القاهرة: دار الشروق، 2003، ص81.

[4] حسن جاد حسن، دراسات في النقد الأدبي، الكتاب: (مكتبة الندوة)، ص12.

[5] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العباسي العصر العباسي الأول، ط8، (القاهرة: دار المعارف، 1966م)، ج3، ص3.

وكذلك نجد أحمد أمين مخطئا في دعواه العريضة في عدم التجديد في الأوزان والقوافي لأنه حقيقة لا تنكر أن الأوزان شهدت التجديد في العهد العباسي، ويرجع الفضل فيه إلى الخليل بن أحمد الذي أتى للشعراء بأوزان جديدة لم يستخدمها أسلافهم من قبل[1] وابتدع أوزان أخرى بما فيها المستطيل والممتد وهما عكس الطويل والمديد، والموشح والزجل، وكذلك في القافية كالمسمط والمزدوج، والتزم الشعراء بالبحور القصيرة في نظم قصائدهم.[2]

وبالإضافة إلى ذلك، عندما نوازن آراء أحمد أمين التي أوردها في مقالاته المختلفة وما كتبه في كتبه حول تاريخ الفكر الإسلامي بخصوص هذا الموضوع فتنتهي بنا الدراسة إلى أن التناقض يغلب على آراء أحمد أمين النقدية في الأدب العباسي، لأنه يشيد في بعض الأحيان بالأدب العباسي وينقد عليه نقدا شنيعا أحيانا أخرى. لاحظنا من خلال هذا البحث أنه ينقد على الادب العباسي لعدم تمثيله المجتمع الذي نشأ فيه، ولكن عندما نقلّب صفحات الكتب المتعلقة بموضوع الفكر الإسلامي، فنجد موقفه مختلفا تمام الاختلاف عن آرائه المذكوره، لأنّه يرى أن الأدب العباسي كان صورة صحيحة للحياة الاجتماعية، كما يتضح في عبارته حيث يقول: "كان النتاج الأدبي في هذا العصر من نظم ونثر صورة صحيحة للحياة الاجتماعية في غناها وترفها من جانب، وفقرها وبؤسها من جانب، وفي اضطراب الشئون السياسية والحياة الاجتماعية، وفي حياة اللهو وحياة الجد.... إلى غير ذلك من المظاهر".[3]

ثمّ يفنّد آراءه هذه بنفسه بقوله إن العهد العباسي شهد التغير والتجديد في معظم مجالات الحياة بما فيها السياسية والاجتماعية، فكان من الواجب أن يأتي الشعر العباسي صورة صادقة لهذه الحياة الجديدة، ولكنه لم ير المطلوب من ذلك، ثم يعلّق على علماء الأدب الذين يسلّطون ضوءا على مبزات الأدب العباسي، ويدللون وجود التجديد في الأدب العباسي، فيقول فيهم: إن علماء الأدب لا يألون جهدا في بيان المزيات الجديدة للعصر العباسي ولكنهم لا يأتون إلا بأشياء لا يراها إلا سطحية ليست في الصميم، كالتنميق وكثرة الاستعارات والتشبيهات والإكثار من البديع وورود الألفاظ الأعجمية والتعبيرات العلميّة، والإكثار من الخمر والغزل في المذكر ونحو ذلك، وهي كلّها في نظره ليست من الجوهر في شيء.[4]

وكذلك نجد الكثير من النماذج في مؤلفاته التي تدلّ على وجود التناقض في آرائه النقدية في الأدب العباسي كما يتبين من خلال تناول

[1] المصر السابق، ص185.

[2] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، (طبعة: كتب خانه رشيدية).

[3] أحمد أمين، ظهر الإسلام، (القاهرة: مكتبة إحسان، 2018م)، ج1، ص157.

[4] أحمد أمين، فيض الخاطر، "جناية الأدب الجاهلي أو نقد الأدب العربي"، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2011م)، ص222.

مقالاته الأدبية المختلفة وما أورده في كتبه في تاريخ الفكر الإسلامي.

الخاتمة:

بعد دراستنا المتواضعة وقراءتنا القاصرة، نستنتج من البحث أن أحمد أمين كان محقًا في بعض آرائه ومخطئا في بعضها، لأنه بحث في الأدب العباسي نظرا إلى ناحية واحدة فقط دون الالتفات إلى النواحي الباقية، فدخل فيه اللوم وغض طرفه عن الثناء. وكذلك لم يأت بأمثلة وافرة لتبرير موقفه تجاه الأدب العباسي بل اكتفى بسرد آرائه فيه. ولا يفوتنا أن أحمد أمين استعمل الكلمة "إلا قليلا" في بعض الأحيان لاستثناء البعض من نقده، ولكنه لم يقل بصراحة ما هو القليل وما يندرج في هذا القليل، ومن الطريف ما يذكر هنا في هذا الصدد أننا حينما نقلّب صفحات كتب المستشرقين في هذا الموضوع فإنهم أيضا يستثنون قليلا من الأدب العباسي من تعليقاتهم النقدية التي أدلوا بها على الأدب العباسي.[1]

المراجع والمصادر:

Paul Starkey, *Modern Arabic Literature*, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2006

أحمد أمين، حياتي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013م.

أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج1، مكتبة إحسان، لكناؤ، 2018م.

أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة إحسان، لكناؤ، 2014م.

أحمد أمين، فيض الخاطر، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2011م.

أحمد أمين، فيض الخاطر، ج2، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، كتب خانه رشيدية، دلبي، الهند.

حسن جاد حسن، دراسات في النقد الأدبي، المكتبة الندوية، لكناؤ.

الحسني، محمد الرابع، الأدب العربي بين عرض ونقد، مؤسسة الصحافة والنشر، لكناؤ.

الدكتور فؤاد صالح السيد، موسوعة أعلام القرن العشرين العربي والإسلامي، مكتبة حسن العصرية، بيروت.

الشهيد، سيد قطب، النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، ط8، دار الشروق، القاهرة، 2003م.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العباسي الثاني، ج4، دار المعارف، مصر، 1973م.

شوقي ضيف، تاريخ الأدب العباسي، (العصر العباسي الأول)، ط8، دار المعارف، القاهرة، 1966م.

[1] Paul Starkey, *Modern Arabic Literature*, Edinburgh University Press, Edinburgh, 2006, p.1.

Kalikoot

Quarterly Arabic Journal

Vol.14 Issue 1, January - April 2024

The Department of Arabic
University of Calicut

Kaalikoot
11201022